﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾:

وكـــمـــا ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ...﴾[1]. و﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2] وجعلنا من الناس أحياء بالإيمان ومنهم أمواتاً بالكفر، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا...﴾ جعلاً تكوينياً إن لم نصدَّهم عن تطاولاتهم المجرمة، بل أمليـنا لهم ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا...﴾ و﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾[3] ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[4].

وذلك قضية حكمة الابتلاء الحكيمة ليتم الابتلاء بعظُم البلاء، وينفذ القدر المقدر، وتتحقق الحكمة من دار الابتلاء، فيمضي كلٌّ فيما هو ميسَّر له دون أن يكون مسيَّراً في خير أو شر.

فلأن شرعة الله تُمَحور القضاء على الأكابر المستكبرين، لذلك فهم يقفون أكثر ممن سواهم موقف العداء من شرعة الله، حيث تبدأ من نقطة تجريد هؤلاء من كبريائهم وعلوائهم.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٣.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.

فكما أن رسل الله هم أكابر العارفين بالله، العابدين الله، كذلك أعداءهم - في الأصل - هم أكابر الجاهلين بالله التاركين عبودية الله، سنة جارية في كلّ قرية، مستمرة حتى تقوم دولة الحق العالمية الكبرى بصاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

إنها معركة مصيرية محتومة بين كتلتي الإيمان والكفر، قائمة على أساس القضاء بين القاعدة الأولى لشرعة الله - وهي حصر الحاكمية كلها لدين الله - وبين أطماع أكابر المجرمين في القرى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[1].

ذلك، ولكنه لا خوف على أهل الإيمان من ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ إذ ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ - ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[2].

أجل، ولأنه ليس المؤمنون وحدهم يخوضون تلك المعارك المهالك، فالله وليهم فيها وهو حسبهم حيث يرد على أكابر المجرمين كيدهم وميدهم ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، فإن ضرر المكر راجع - أولاً - إلى أنفسهم دون رادع، ثم الله رادع مكرهم عن المؤمنين الصالحين، مهما لم يردع عمن «زاغوا فأزاغ الله قلوبهم» فإنهم من ذاك النمط.

ذلك و﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ تحلِّق على كافة الكبراء والمستكبرين بدَولة الحال أو دُولة المال، والحاصلين على أية وسيلة من وسائل الاستكبار الاستعمار الاستثمار الاستحمار، والاستبداد الاستخفاف الاستضعاف، الأبواب السبع الجهنمية المفتحة من قبل الأكابر على سائر الناس.

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٦.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

وهنا ﴿أَكَٰبِرَ﴾ مفعول ثان لـ﴿جَعَلْنَا﴾ والأول هو ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ أن «جعلنا مجرميها أكابر» حيث الاسم الأوَّل هو في الأصل مبتدءٌ فليكن معرفاً.

ولأن الإجرام ليس إلّا على قدر الكبر، فذلك الجعل يعني أنه تعالى لم يمنع الأكابر عن إجرامهم الكبير ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ كما يستطيعون حتى يخلص الغث من السمين والخائن من الأمين ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[١] ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[٢].

وقد تعني اللام في ﴿لِيَمْكُرُوا۟﴾ العاقبة العاقبة لذلك الجعل أتوماتيكياً، دون أن يريده الله توفيقاً لهم في مكرهم، كما لم يرد إجرامهم اللهم إلّا عدم الصد عما يفعلون، فهي كـ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[٣] في قصة أخذ موسى من اليم، إذ لم يقصدوا منه إلّا خيراً: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٤] أم هي غاية لهم مقصودة، فـ﴿جَعَلْنَا... لِيَمْكُرُوا۟﴾ تعني - إذاً - ما صددناهم عن مكرهم ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ مخيرين غير مسيرين.

ذلك وأكبر الإجرام ما إذا جمع ثالوث الذرائع إليه والدوافع له من دُولة المال ودَولة الحال والعلم بمختلف الأحوال ولا سيما ظاهرة علم الدين، فيا ويلاه من ذلك الإجرام المثلث حيث لا قِبَل له.

«ألا فالحذر الحذر من طاعة سادتكم وكبرائكم، الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربهم، وجاحدوا الله على

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.
(٣) سورة القصص، الآية: ٨.
(٤) سورة القصص، الآية: ٩.

ما صنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبةً لآلائه، فإنهم قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاز الجاهلية»[(١)].

وهؤلاء الأكابر المجرمون، وحماقى الطغيان المتفرعنون، يحيلون إيمانهم بآية إلّا كما يشتهون:

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾:

هذا من أمكر المكر حيث يخيَّل إلى البسطاء أن صاحب آية غير ما أوتي رسل الله ليس من رسل الله، وكأنهم من مصدقي رسل الله إذا صدقت رسالاتهم بآياتهم المتواصلة المتشابهة، وأما إذا تخلفت آية عنها فليسوا هم بمصدقيها كآية القرآن العظيم، ويْكأنهم أعلم من الله بكيان الآية الرسولية التي تثبت الرسالة، و﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ فحيثية الرسالة الختمية تتطلب آية خالدة تمشي مع الزمن وتهدي كلّ أهل الزمن، فلو أن الله بعث خاتم الرسل بآيات الرسالات الأخرى، المؤقتة لردح من الزمن الرسولي، لكانت آية ناقصة ناقضة لخلود الرسالة.

صحيح أن الآيات الرسالية السابقة كانت عابرة غير باقية عبر كلّ رسالة إلّا أن الرسل اللّاحقين كانوا بآياتهم مصدقين لكلّ سابقة، رسالات متواتية بآيات متشابكة يصدق بعضها بعضاً، ولكن الرسالة الأخيرة لا مصدق لها بعد ارتحال رسولها إلّا آيتها الخالدة: القرآن العظيم.

وهؤلاء الأكابر المجرمون المختلقون لهذه الشبهة الماكرة أصابوا بها القرآن صغاراً كأنه آية صغيرة غير كافية أم ليست آية، فـ ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾.

(١) الخطبة ١٩٠/ ٣٦١.

أجل، ولو كانوا هم أولاء - كما يدعون - عالمين حيث تُجعل رسالة الله فـ ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ منهم ﴿حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ لأنه هو الله العالم الغيب والشهادة، وهو المرسِل - كما يعلمون - سائر الرسل بسائر الآيات المعجزات.

وليست آية القرآن شاذة عن سائر الآيات إلّا في صورتها، وأما سيرتها فهي أقوى وأبقى دلالة خالدة على خلود هذه الرسالة السامية، فكيف تصبح الآية الأقوى والأبقى فعلية وفاعلية أبعد عن التصديق بعدم التشابه في صورتها مع الآيات الأخرى، ويكأنها هي الأصيلة التي تقاس عليها غيرها.

ذلك، ولو أن عدم التشابه الصوري بين آيات الرسالات يقضي على حجَّية اللاحقة غير المشابهة للسابقة، فلتكن الآية الأولى هي المصدَّقة فقط، ثم اللَّاحقة لها كلها مطرودة لعدم التشابه الكامل، ولا تشابَه بين فلْق البحر لموسى وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام!.

ولئن قالوا إن الأصيلة هي الأولى بازغةَ الرسالات، يقال لهم بأية حجة هي الأصيلة والتالية ليست بها، رغم أن الرسالات بآياتها متدرجة إلى أعلى فأعلى حتى تنتهي إلى علياها الوحيدة الخالدة كما القرآن العظيم.

وهنا ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ لا تختص بآية الرسالة، بل هو الحيث الرسالي رسولاً ورسالة بآياتها المثبتة لها وأصلها وزمانها ومكانها حيث الحيث هنا يحلِّق على كلّ حقول الرسالة وأبعادها، فقد نظر الله في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد وأصفاها وأضفاها فاصطفاه لنفسه فأضفاه لرسالته الأخيرة التي تحمل الرسالات كلها، وجعل لها آيتها الخالدة رسولية ورسالية: القرآن العظيم.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي

﴿ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٥٢﴾(١).

فقد عنوا من قالتهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ المشابهة الطليقة بين الرسل بما أوتوا من آيات رسولية، وآيات رسالية هي شرعتهم وكتاباتهم، ووحدويةً في الرسالات بكلّ أبعادها دون أي اختلاف صوري في الأحكام ولا الآيات، مما ينقّص وينقض كلّ الرسالات بعد الأولى، فإنها تختلف رسولياً ورسالياً في بعض المظاهر الأحكامية وآياتهم، وما أسخفه قولاً هو بظاهره صالح حيث يتظاهر بوحدة الرسالات، وفي باطنه مكرٌ يجتث كلّ الرسالات عن جذورها: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ﴾(٢).

ويا للهول من مكرهم الماكر الحاكر في خِضمّه كلَّ صنوف المكر، أنهم وهم أكابر المجرمين الناكرين للرسالات كلها يرفعون عَلَم الوحدوية الرسالية، محتاطين في الأخيرة لأنها لا تشبه سائر الرسالات؟ زعمَ أن المتقدمة هي الأصيلة لقدمتها!.

وما قيلتهم الغيلة، تلك الغائلة العليلة، إلّا كقيلة اليهود: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ . . .﴾(٣).

وقد تلمح ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ أن تطلّبوا - فيما هم مقترحون - أن يُؤتوا رسالة كما أوتي رسل الله، و﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ٥٠-٥٢.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.
(٣) سورة القصص، الآية: ٤٨.

﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ جواب قاطع لا مرد له أن محطة الرسالة الربانية لا بدَّ وأن تكون ربانية تناسب رسالة الله من القلوب الطاهرة الباهرة دون القلوب المقلوبة الباترة الهاترة[١]: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾[٢] فقد أرادوا أن تجمع لهم القيادة الروحية إلى القيادات الزمنية حتى يصبحوا أكابر في القيادتين، فلا تعارضهم القيادات الروحية في كبريائهم وعلوائهم الظالم المظلم جو الإنسانية جمعاء.

والحق أن ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ . . .﴾ إجابة عن كلّ الشطحات الثلاث المحتملة لاقتراحهم «حتى نؤتى ما أوتي رسل الله» حيث الحيثْ تعم حيث الرسالة وآيتها الرسولية والرسالية، مثلث من الحيثيات في حقل الرسالة كانت مقتَرحة على مدار الزمن الرسالي بصيغ مختلفة تجمعها بجواباتها هذه الجملة الجميلة الشاملة.

والقول إن تعميم الوحي لكافة المكلفين كان أصلح للإصلاح؟ غولٌ وتأثيم من القول!، حيث الرسالة والوحي أمانة ربانية لا تحل إلّا محلها المناسب لها، والمناسبة للرسالة قابليةً وفاعليةً هي بين عصمة بشرية تحقيقاً لكلّ المساعي تحليقاً عليها للحصول على أصفى الصفاء، ومن ثم عصمة ربانية كما يراه الله ويرضاه.

وكيف تليق هذه القلوب المقلوبة العفنة النتنة، المستكبرة الرادة على الله رسالاته، كيف تليق أن تكون حمَلَة رسالات الله جمعاً بين النور والظلام، نقضاً لحكمة الملك العلام؟ كلا: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ . . .﴾.

فأقل ما يشرط في مهابط الوحي والتنزيل التخلية عن كلّ مكر وغدر ثم

(١) قال المفسرون قال الوليد بن المغيرة «والله لو كانت النبوة حقاً لكنت أنا أحق بها من محمد ﷺ فإني أكثر منه مالاً وولداً فنزلت هذه الآية».
(٢) سورة المدثر، الآية: ٥٢.

التحلية بحلية الإيمان، ومن ثم الإيمان القمة المصفاة عن أية كُدرة، وهؤلاء الكبراء المجرمون ماكرون وغادرون في قولتهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ﴾ فكيف يحمِّلون رسالة الوحي؟.

فهؤلاء الأكابر المجرمون سيصيبهم صغار عند الله، كما خيِّل إليهم أنهم كبار عند الله، يجب عليه أن يكون عند متطلباتهم الجاهلة الغائلة، صغار باستكبارهم وأنهم جعلوا رسالة الله وحكمه صغاراً يستصغرونه لحدّ يتطلبونه لأنفسهم الحضيضة البغيضة.

ويا ليتهم لمسوا جانباً من طبيعة الرسالة الربانية والوحي حتى لا يلفظوا بهذه الشطحات، فالقلب المتجرد عن كافة الحظوظ الذاتية والعرضية، المتحلي بحب الله ومرضاته، والمتجلي لمعرفة الله وعبوديته، المتفئد بنور الله، هو اللائق لتحمل رسالة الله، دون القلوب المقلوبة عن إنسانيتها، المتفئدة بنيران الشهوات والحيوَنات.

ثم الله هو وحده الذي يصطفي من أصفائه من يصلح لحمل الرسالة، بصالح القابلية والفاعلية الرسالية، بالعصمة البشرية والإلهية، دون الناس الصالحين أياً كانوا فضلاً عن هؤلاء الطالحين الكالحين! ذلك:

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾:

والصدر هنا هو صدر الروح الكامن في صدر الجسم، وهكذا العقل في المخ، والقلب في القلب، الذي هو نفسه في الصدر، وكما يُشرح صدر الجسم بسطاً للحمه ونشراً، كذلك صدر الروح الذي هو مصدر الإيمان والكفر وسيطاً بين العقل والقلب، فالفطرة والعقل والصدر والقلب هي مراكز المعرفة كلٌّ تلو الأخرى مترتبة في تنقل المعرفة الحقة والباطلة، وإنما

يذكر القلب أكثر بكثير من زملائه لأنه قلب الروح، والمركز الرئيسي النهائي لكلّ محاصيل الروح بجنوده، فهو إمام الأئمة في كيان الإنسان، فـ «القلوب أئمة العقول والعقول أئمة الأفكار والأفكار أئمة الحواس والحواس أئمة الأعضاء» وهنا ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ . . .﴾ تفريع بياني لـ ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾[١].

وكما ينشرح الصدر ويلين لذكر الله وبذكر الله، كذلك - وبأحرى - القلب: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ . . .﴾[٢].

وليس الشرح إلّا للمعقد الغامض إيماناً وكفراً حيث هما قَدَر القدرة الخلقية معقّدان، فالله يشرح الإيمان فينشرح كما يريده، ويشرح الكفر فينشرح جزاءً وفاقاً.

ثم إن هداية الله وإضلاله ليسا فوضى جزاف، فإنما يحل كلٌّ محلّه جزاءً وفاقاً، وفي الهدى زيادة قضيةَ فضل الله ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ «بإيمانه»[٣] وهو المريد لهدى الله، المتحرِّي عنها، المحاول في إسلامه لله ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ إخراجاً له عن مضايقه ومزالقه قدر ما أعدَّ له حيث عدَّل صدره ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٤].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٣) نور الثقلين ١: ٧٦٥ في عيون الأخبار بسند متصل عن حمدان بن سليمان النيسابوري قال: سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ . . .﴾ قال: من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا إلى جنته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئن إليه ومن يرد أن يضله عن جنته ودار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه في الدين يجعل صدره ضيقاً حرجاً حتى يشك في كفره ويضطرب من اعتقاد قلبه حتى يصير كأنما يصعد في السماء ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

(٤) سورة النجم، الآية: ٣٩.

وذلك الشرح مما لا يقدر عليه أي محاول له إلّا بما أعدَّ له ثم الله ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ بدرجاته حسب الدرجات.

فأين شرح صدور الأنبياء كموسى عليه السلام وخاتم النبيين محمد ﷺ حيث تطلبه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى...﴾[١].

فاستجيب ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾[٢] يا موسى وأعطاه محمداً ﷺ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ...﴾[٣]. وقد يروى عن النبي ﷺ أنه «نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح له»[٤].

وأين شرح سائر الصدور غير الحاصلة على ما حصلوا غير الواصلة إلى ما وصلوا؟، من شرح الصدور الحاصلة الواصلة؟!.

وحين ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[٥] لا يضل عن هداه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٦] [٧]، ومن شرح الصدر «أن الله إذا أراد

(١) سورة طه، الآية: ٢٥.
(٢) سورة يونس، الآية: ٨٩.
(٣) سورة الشرح، الآية: ١.
(٤) لتوضيح أكثر حول العقل واللب والصدر والقلب والفؤاد راجع ج ٢٣: ٣٢١ من الفرقان.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٢٢.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٢٢.
(٧) في الدر المنثور ٣: ٤٤ - سئل النبي ﷺ أي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم ذكراً للموت وأحسنهم لما بعده استعداداً، وسئل ﷺ عن هذه الآية ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]؟ قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله ﷺ؟
قال: نور.. قالوا: فهل لذلك من إمارة يعرب بها؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت».
أقول رواه عنه ﷺ جماعة منهم جعفر المدائني عن رجل من بني هاشم عنه ﷺ وعبد بن حميد عن الفضيل عنه ﷺ وابن مسعود عنه ﷺ وعبد الله بن السور وكان من ولد جعفر بن أبي طالب عنه ﷺ.